

إِسْتِمْرَارُ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ فِي أَثْيُوبِيَا وَتَدَاعِيَاتِهَا عَلَى إِرْتْرِيَا

بقلم : أحمد نقاش

قيل قديما الحرب هي اللعنة لعنة الله من أيقظها وقال الله "القيتال كرهه" والحروب عاداتنا يشعلها القادة وليست الشعوب لكن من يدفع ثمنها هو الشعب! كثير من القضايا يمكن حلها بالحوار لكن في النظم المتخلفة والدكتاتورية تعلن الحرب وتزهق فيها أرواح ابرياءالناس لأتفه الأمور بسبب انعدام المساءلة والمحاسبة القانونية للقادة والبعض يصفق للحروب لأنه بعيد منها ولا يتألم كما يتألم من في بطنها.والشعب الذي يفكر بالمنطق والقانون يتساءلون عن مشروعية الحرب وضرورتها الحقيقية لكن الشعب الذي يفكر بعواطفه وانتمائه الضيق ينقسمون على فريق المتحاربين كأنها لعبة كرة القدم، والكل يبدع في صياغة مبرراته من أجل الموقف الذي اتخذه.

الحرب الأهلية في أثيوبيا مشتعلة منذ الرابع من نوفمبر 2020 وهي حرب الكر والفر وقد تستمر في هذا الحال لان كل الأطراف تفكر بمنطق حسم المعركة وليس بمنطق الواقع لدولة ومكوناتها وتعقيدياتها التاريخية. إذا كان هذا معلوم لكثير من المراقبين وما يحير الألباب والعقول هو إقحام الدولة الإرترية في هذه الحرب التي لا ناقة ولا جمل فيها لشعب الإرتري الذي حسم معركة التحرير مع أثيوبيا منذ مايو 1991 وكل الحروب التي أعلنها أفورقي بعد استقلال أريتريا هي حروب تخص مشروعه الخاص لا تخص الشعب الإرتري أصلا وفي هذه الحرب الأخيرة ومنذ إقحام الدولة الإرترية، انقسم أغلب الارترين على المتحاربين في المنطقة، منهم من يناصر نظام الجبهة الشعبية الذي يحكم أريتريا بالحديد والنار منذ استقلالها تحت مبرر حماية السيادة الوطنية الأرترية رغم أن نظام هقدف أخطر مهدد لسيادة الارتريا، منهم من يناصر جبهة وياني تغراي التي حكمت أثيوبيا بالحديد والنار لمدة 17 سنة خلت، بحجة لا يمكن التخلص من أفورقي الا عبر دبابات جبهة وياني فضلا عن أن جبهة وياني هي الحامي حما مشروع تغراي الكبرى، والفريق الثالث يرى ان الحرب لا تعني أرتريا وعلى النظام الحاكم عليه فقط تأمين حدود الدولة وليس هدر الموارد البشرية والمالية لارتريا في حرب اهلية لدولة جارة.

لذا يجب علينا في هذه السطور أن نحلل النقاط التالية:

- 1- لماذا تم إقحام أريتريا في هذه الحرب؟
- 2- لماذا انقسم الإرتريون حول هذه الحرب؟
- 3- تداعيات الحرب على مستقبل الدولة الإرترية

• لماذا تم إقحام أرتريا في الحرب الأهلية في أثيوبيا؟

عادتا أي دولة في العالم عندما تشتعل الحرب في دولة جارة تسعى للمساهمة في حل الحرب بالحوار والسلام من ناحية ومن ناحية أخرى تقوم بتأمين جميع حدودها الدولية مع تلك الدولة تحسبا لأي تطورات على الحدود دون تجاوز حدودها الدولية في حالة تجاوز القوة الأخرى للحدود الدولية يحق لدولة أن تدافع عن أراضيها هذا ما يكفل لها القانون الدولي والقانون المحلي لدولة، لكن إرسال الجنود والمدركات إلى عمق الدولة الأخرى يعتبر المشاركة في الحرب بطريق مباشرة لشيء في نفس يعقوب.

لمعرفة ما في نفس يعقوب علينا أن نعود إلى الوراء قليلا، أرتريا مثلها مثل كثير من الدول الحديثة في أفريقيا وآسيا تم تحديد حدودها الدولية عن طريق المستعمر الأبيض في القرن التاسع عشر والاستعمار في تأسيس مستعمرته لم يفكر في مكوناتها البشرية لدولة أين ما توقفت قواته كانت حدوده لتلك المستعمرة، لذادولة أرتريا لها امتداد شعبي وثقافي وديني مع دول المجاورة مثل (أثيوبيا - السودان - دولة جيبوتي). بعد هزيمة إيطاليا ودخول قوات الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية إلى أريتريا اتفقت قوات الحلفاء والأمم المتحدة حق تقرير المصير للمستعمرات الإيطالية في أفريقيا وهي كانت (أرتريا والصومال وليبيا) تم استقلال ليبيا والصومال وأريتريا تم ربطها وفق النظام الفدرالي مع أثيوبيا ذلك نتيجة لانقسام شعبها إلى قسمين: مسلمي أرتريا الذين حددوا هويتهم الوطنية طالبوا بالاستقلال الكامل لإرتريا، أغلب المسيحيين الارتدكت الذين لم يستطيعوا حسم هويتهم الوطنية بعيدا عن الكنيسة طالبوا بضم أريتريا إلى أثيوبيا التي يحكمها نظام ملكي مسيحي ارتدكت. بعد احتلال أثيوبيا وإلغاء النظام الفدرالي واضطهاد لمسلمين على وجه الخصوص انفجرت الثورة الارتريا في مناطق المسلمين بقيادة المناضل حامد إدريس عواتي في سبتمبر 1961 في منطقة بركة بتحديد في جبل ادال ، بعد عقد من الزمان بدء المسحين الوطنيين الارتريين يلتحقون بكثرة إلى الثورة.

عندما أصبحت الثورة واقعا لا يمكن تجاوزه فكر نظام هيلي سلاسي الأثيوبي وحاكمه في أريتريا "أسرا تكاسا" وإستخبارته اختراق الثورة الإرترية من الداخل وبدء البحث عن إرتري من أصلي أثيوبي ووقع الاختيار بالعناية على الطالب في جامعة أدبس ابابا ألا وهو السيد "أسياس أفورقي" بحكم أنه من مواليد اسمرا محسوب على المسيحية الارتدكتية في كبسة والجدير بالذكر يؤكد الكثير من الباحثين باللغة الأمهرية والتغرينية أن "أسياس أفورقي" هو من سلالة الأسرة المالكة الملك يوهانس الرابع في أثيوبيا وهو ينتمي إلى منطقة تبين في إقليم تيغراي واسمه بالكامل هو (أسياس أفورقي أبرها حقوس مرجا ولدكيدان) حقوس هو الأخ الأصغر لملك (يوهانس مرجا ولدكيدان) وإسياس بذكانه وتدريباته التي تلقاها استطاع أن ينجح في اختراق الثورة الإرترية مستخدم العواطف القومية والدينية والإقليمية واستطاع مع الوقت ان يؤسس تنظيم قوي وبمواصفات دقيقة جدا وكما استطاع ان يؤسس جهاز استخبارات قوي على مستوى المنطقة. وأسياس أفورقي لم يكن مجرد مرسل قد يكون استفاد من الدعم الأثيوبي في بداية طريقه إلا أنه كان صاحب مشروع ومشروعه لا يتفق مع الدولة الإرترية المستقلة، ومشروعه يرتكز بالدرجة الأولى في استعادة ملك أجداده في المنطقة أي أن يحكم أثيوبيا الكبرى تسودها قومية التغرينية. وأفورقي بدء يرى ملامح نجاح مشروعه منذ أن استطاع تأسيس حركة وياني الثانية بزعامة الراحل ملس زيناوي وإخراج جبهة التحرير الإرترية من الساحة بدعم من وياني تيغراي عام 1981 وعند دخول أفورقي إلى اسمرا وملك زيناوي إلى أدبس عام 1991 بدأت تتضارب المصالح بين أفورقي وبين ملس زيناوي رقم أن المشروع واحد بين "الجبهة الشعبية هدف" و "جبهة الشعبية وياني تيغراي" وما أعاق

المشروع هو بروز جناح داخل وياني بزعامة ملس زيناوي يفضل الابتعاد عن اسيااس ودولته ليتثنى لهم حكم أثيوبيا لوحدهم وبعيدا عن طموحات أفورقي ونزعتة الانفرادية في السلطة، وبينما جناح آخر بزعامة (أبا سبحت) كان يري المضي في المشروع ولو أصبح أفورقي زعيما لها بما أن جناح ملس كان الأقوى فضلوا حكم أثيوبيا بعيدا عن أفورقي وهذا سر الخلاف والصراع بين أفورقي وبين الراحل ملس وجبهة وياني تغراى الى اليوم، لذا يرى أفورقي ان جبهة وياني هي حجر العثرة امام مشروعه والجدير بالذكر ان أسيااس افورقي لا يكره ولا يعادي شعب تغراى كما يظن بعضالغافلون الا ان خلافه هو مع السلطة فى اقليم تغراى التي تعيق مشروعه.

بعد ملس زيناوي سيطر جناح تغراي الكبرى داخل جبهة وياني الا ان اسيااس افورقي بنسبة لهم ولمشروعهم يعتبر حجر العثرة وكانت استراتيجية هذا الجناح منذ ان كانوا في حكم اديس أبابا هو ترك افورقي لحين من الزمن لاضعاف الشعب الارترى وتهجير شبابها لهذا حسبوا المعارضة الارترية لعقد من الزمان لم يدعمها كما ينبغي ولم يتركها تقنات من هشاشت الدول الاخرى كي لا تكون قوية حتى لا تكون بديل لسلطة بعد زوال النظام .

وجملة القول إن مشروع جبهة وياني تغراى والجبهة الشعبية هتدف ليس بعيدا عن بعض وان وجد خلاف هو أن أفورقي يميل بطموحه إلى أثيوبيا الكبرى التي تسودها قومية تغرينية وجبهة وياني تغراى تفضل تيغراي الكبرى وهنا يتضح أن المشروعين ضد وجود الدولة الإترية بحدودها الحالية والخلاف بين وياني وهتدف ليس في المشروع إنما في تفاصيل المشروع وفي مقدمتها من يقود المشروع؟؟ وهنا مرتبط الفرس وبعد اعتلاء السلطة في أديس أبابا السيد أبي أحمد تقاطعت مصالح أبي أحمد مع مصالح أفورقي : أولا الرجلان يؤمنان بمشروع أثيوبيا الكبرى وثانيا أن جبهة وياني تغراي صاحبت مشروع تغراي الكبرى هي العدو المشترك لهما من هنا بدء التحالف بين ابى أحمد وبين أسيااس أفورقي وإن كان لكل منهما طموحاته الخاصة لذا نرى السيد أفورقي يعتمد أكثر إلى قومية الامهرا التي لا تختلف معه في مشروع أثيوبيا الكبرى، هكذا يتضح أن المعركة هي واحدة وهي برمتها معركة صراع المشاريع ومعها صراع السلطة في أثيوبيا وهذا هو سبب تدخل اسيااس المباشر فى الصراع في اثيوبيا، موارد ارتريا البشرية والمالية بنسبة لاسيااس هي مجرد ادة لتحقيق حلمه واعادة مجد أجداده في أثيوبيا الكبرى.

● لماذا انقسم الإرتريون في هذه الحرب ؟

سبب الانقسام يعود بدرجة الأولى إلى مكونات الدولة الإترية، أريتريا تتكون من مجتمعين أساسيين هم

- -المجتمع المسلم لغته الرسمية اللغة العربية
- -المجتمع المسيحي الارادكسي لغته الرسمية اللغة التغرينية

لهذا السبب أول برلمان إرتري منتخب تحت إشراف مندوب الأمم المتحدة عام 1951 أقر بأن أريتريا تتكون من مجتمعين أساسيين واللغتين الرسميتين لدولة هما اللغة العربية والتغرينية. هذا اعتبر من الثوابت الوطنية الإترية إلا أن النخب التغرينية والسياسيين لم يؤمنوا من الناحية العملية بهذه الثوابت إلا القلة

القليلة منهم، والخلاف الأول والأساسي بين الزعيم الوطني "عثمان صالح سبي" "وأسياس أفورقي" عام 1974 كان رفض اسيااس لهذه الثوابت الوطنية على رأسها رسمية اللغة العربية.

وجملة القول إن النخب السياسية المسلمة لم تأخذ الصراع العميق بين المجتمعين مأخذ الجد بل افتركت يمكن حلها بمجموعة من المحاضرات والتثقيف السياسي ومدرسة الكادر في الميدان لأن المجتمع المسلم في أريتريا يفتقد إلى الآن للمنظرين الحقيقيين في السياسة والفكر والدين، بهذا التفكير الساذج في السياسة نقلوا مجتمعهم من ضعف إلى ضعف. أم النخب السياسية المسيحية التغرينية لم تهمل أساس الصراع وان رفعوا شعارات ماركسية أو أخرى الا انهم عملوا بكل جهد في سيادة ثقافتهم والسيطرة على السلطة بكاملها في أرتريا والاختلاف بين أفورقي وبعض النخب السياسية التغرينية هو ليس في سيادة ثقافة التغرينية والسيطرة على السلطة في أريتريا إنما الخلاف هو في مشروع اسيااس أي "مشروع أثيوبيا الكبرى وأسلوبه الدكتاتوري في الحكم" لذا كان أسيااس أفورقي حتى حربه مع جبهة وياني تغراي عام 1998 الزعيم الأوحده المتفق حوله في مجتمع التغرينية في ارتريا، لان اغلب التغرينية في ارتريا يميلون الى مشروع تغراي الكبرى وليس الى اثيوبيا الكبرى.

الآن هذه الحرب الأخيرة في أثيوبيا لا ينظر إليها كما ينظر إليها المجتمع المسلم في أريتريا باعتبار أنها حرب أهلية أثيوبيا بل ينظر إليها أغلب المجتمع التغرينية على أنها حرب وجود بين قومية التغرينية وقومية الامهرا – الصراع بين قومية أمهرا وقومية تيغراي في المنطقة قديم وعميق- من هذا الفهم يأتي الانقسام. كل من يؤمن أو يميل إلى مشروع تيغراي الكبرى سواء كان من أصلي تغراوي أو إرتري يقف في هذه الحرب مع جبهة وياني تغراي . وكل من يؤمن بمشروع أثيوبيا الكبرى مثل أبناء تيبين في إقليم تغراي (قوات دمحيث) أو المولدين في أرتريا وبعض الارترين المرتبطة مصالحهم مع النظام كل هؤلاء يقفون مع أسيااس أفورقي. والصراع إذا هو صراع حول السلطة بين قومية تغرينية وقومية أمهرا أساسا وسميه إن شئت (صراع بين هطي يوهانس وهطي منليك) أم الآخرون هم مجرد وقود في هذا الصراع الذي لا يعينهم لا من بعيد ولا من قريب وفي مقدمتهم الشعب الإرتري.

والمجتمع المسلم في أرتريا اليوم يتفرج كأن الحرب لا تعنيه رقم أن أساس كل هذا الصراع يدور حول دولتهم وبحرها. والسبب هو : اولا تغلب الطبيعة البدوية على اكثرهم في التفكير وثانيا عدم وجود قيادة فكرية ودينية وسياسية حقيقية مقتدرة تشخص الصراع وتحرك المجتمع.

•تداعيات هذه الحرب على أريتريا:

كما أشرت سابقا أن أساس كل هذا الصراع اليوم هو حول مشروع ابتلاع أريتريا وبحرها ومن يقود المشروع من هنا يتضح أن الصراع هو صراع المشاريع ويمكن تحديدها في ثلاثة مشاريع:

- مشروع أثيوبيا الكبرى وأنصاره هم (السيد أبي أحمد –السيد أسيااس أفورقي – قيادة النخب الأمهرية – قوات دمحيث التغراوية) كل هؤلاء يتفقون حول المشروع لكنهم يختلفون في التفاصيل. لذا نراهم أحيانا يتفقون وأخرى يختلفون .
- مشروع تغراي الكبرى وأنصاره (جبهة وياني تغراي – إغازيان – بره مظاي وإلخ)

- أصحاب المشروع الوطني الإرتري لكنهم خارج الصراع الحقيقي نتيجة ضعفهم وضبابية الرؤية عند بعضهم وفقدان قيادة أو قائد يحرك المجتمع نحو هدف حقيقي.

إذا من تداعيات هذه الحرب على أرتريا يمكن توقع عدد من سيناريوهات حول هذا الصراع:

- انتصار أصحاب مشروع تغراي الكبرى رغم أنه مستبعد في المنظور القريب، في هذه الحال سيحاولون حكما أدبس أبواب بتحالف مع مجموعات اثيوبيا اخرى لوقت معلوم حتى يشرفوا على استفتاء حق تقرير إقليم تغراي بنفسهم وفق الماد 39 من الدستور الأثيوبي الذي تؤمن به جبهة تغراي ، وفي الوقت نفسه إقامة حكومة موالية لهم في أسمرأ ليسهل لهم بعد انفصال من أثيوبيا إعلان الاتحاد مع أريتريا وهذه هي دولة تغراي الكبرى.
- انتصار أصحاب مشروع أثيوبيا الكبرى وهم (أبي أحمد وأسياس أفورقي والنخب الأمهرية- وقوات دمحيث التغراوية) في هذه الحال سوف تتم صياغة محددة مثل الاتحاد الفدرالي بين أثيوبيا وأرتريا وبموجبها يتم ابتلاع أريتريا وبحرها من جديد أو يحصل خلاف حول من يقود بين أبي أحمد وأسياس وامهرا وقد يؤدي هذا إلى صراع جديد بينهما.
- اتفاق بين أطراف الصراع الثلاثة أي بين (أبي أحمد وجبهة ويعاني وأفورقي) بضغط من أمريكا والمنظومة الغربية. وفي هذه الحال قد تستمر الدولة الارترية من الناحية الشكلية إلا أنهم سيعملونا جميعا على قدم وساق على تهجير ما تبقى من الشعب الإرتري وتهيئة الوضع لتحقيق أثيوبيا الكبرى مع إعطاء شي من الحكم الذاتي لإقليم تغراي.

وجملة القول إن المستهدف الأخير والمتفق حوله هو إنهاء الدولة الإرترية وسيادتها المستقلة. وقد يقول قائل إن أريتريا دولة مستقلة ومعترف بها دوليا وبالتالي من المستحيل حدوث ما ذهبنا إليه، إلا أن أصحاب هذه المشاريع ليسوا أغبياء أو يجهلون بالمخارج القانونية لتحقيق ما يريدون وصيغة استفتاء الشعوب صيغة معترف بها دوليا، لذا يمكن تحقيق ما يسعون إليه عبر الاستفتاء هذا ممكن في ظل تهجير الشعب الإرتري الذي يتم منذ أن حكم نظام أفورقي الدولة الإرترية، هنا أريد التنويه على أن ظهرت أفورقي ليست فردية بقدر ماهي ظاهرة مجتمعية وثقافية وتاريخية معقدة حتى في ظل غياب افورقي قد يظهر قائد اخر لتحقيق المشروع.

هنا سؤال يطرح نفسه – وهو كيف يمكن إنقاذ أريتريا والمشروع الوطني الإرتري-؟ والإجابة هي أن تتحد القوى الوطنية الارترية الحقيقية شبيبا وشباب رجلاً ونساءً قبل فوات الأوان تحت شعار (إنقاذ الوطن وحماية الشعب) وإعلان الكفاح المسلحة في أسرع وقت ممكن لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

11/10/2022

Ahmednegash99@gmail.com